Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الواضح أن نسبته إليه تدلّ على أنه كان أستاذه المفضَّل ، وشيخه الأول ، وقد رأينا كيف مال الزجاج عن ثعلب وهجره إلى المبرِّد الذي أوصاه بطرح كتب الكوفيين .

ومن حق الزجاجي علينا أن نبيّن أخيراً أن هذا الميل لا يعني أبداً أنه كان متعصّباً ضدّ الكوفيين ، فقد كانت حدة التعصّب فترت من جهة ، وكانت نفسه ـ من جهة أخرى ـ أسمى من أن يعميها التعصُّب عن الحق . إن (بصريَّة) الزجاجي لم تحل دون استعماله مصطلحات الكوفيين ، بل هو على العكس كثيراً ما يستعملها في مصنَّفاته . وهو يبسط آراء الكوفيين ، ويذكر أحسن احتجاجاتهم ، ولا يُغلظ لهم القول إن ردّ عليهم ، شأنه في ذلك شأن العالم المنصف المتَّزن ، لقد كان أبو القاسم « زجَّاجيًّا » حقًّا والزجَّاج هو الذي قال حين عوتب على تركه ثعلباً والتزامه المبرّد : « لست أقول بالذكر والخمول ، ولكني أقول بالعلم والنظر » . وكذلك كان تلميذه أبو القاسم لا يقول بالميل والهوى ولكنه يقول بالعلم والحق .

أسلوبه :

كان الزجاجي ذا أسلوب رصين ، ومنطق محكم متين ، ونفَس طويل ، يلج ميادين الجدل ، بل يفتح على نفسه أبوابها ، ويختلق لخصومه الحجج ، ويتعلل لهم ليعود على الحجج بالنقض ، وعلى العلل بالإبطال ، صنيع علماء المنطق في إيراد أدلة خصومهم لهدمها وبناء آرائهم على أنقاضها ، كما كان يمتاز بدقَّة العالم وأمانته ؛ فهو لا ينسى إذا كان في صدد الاستشهاد بلفظ أو بيت أن يعنىٰ بالسنَّد العناية اللازمة كما فعل في الأمالي . وهو لا يذكر خبراً إلاَّ يعزوه إلى مصدره ويذكر عمَّن أخذه ، ويزداد تقديرنا لهذه الصفة إذا علمنا أن جلّ مسائله التي ذكرها لم تكن مدوّنة في الكتب ، وإنما أخذها مشافهةً عن شيوخه وأساتيذه . قال في مقدمة الإيضاح : « ونضمّ إلى العلل بعد تقديمها ، مسائل مجموعة منثورة